مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ٦:١–٧)

في تلكَ الأيام لمَّا تكاثرَ التلاميذُ حدث تذمُّرٌ مِنَ اليونانيينَ على العبرانيينَ بأنَّ أرامِلَهُم كُنَّ يُهمَلنَ في الخدمةِ اليوميَّة* فدعا الإثنا عشَرَ جمهورَ التلاميذِ وقالوا لا يَحسُنُ أنْ نترُكَ نحنُ كلمةَ اللـهِ ونخدُمَ الموائدَ* فانتخِبوا أيُّها الإخوةُ منكُم سبعةَ رجالٍ مشهودٍ لهم بالفضلِ ممتلئينَ مِنَ الروحِ القُدُسِ والحكمةِ فنُقيمَهُم على هذه الحاجة* ونواظِبُ نحنُ على الصلاةِ وخدمةِ الكلمة* فحَسُنَ الكلامُ لدى جميعِ الجمهور. فاختاروا استِفانُسَ رجلاً ممتلئًا من الإيمانِ والروحِ القدُسِ وفيلبُّسَ وبُروخورُسَ ونيكانورَ وتيمُنَ وبَرْمِناسَ ونيقولاوُسَ دخيلاً أنطاكيًّا* وأقاموهم أمامَ الرُسل. فصلّوا ووضعوا عليهم الأيدي* وكانت كلمةُ اللـه تنمو وعددُ التلاميذِ

أحد حاملات الطيب

تُفتتح القراءة الإنجيلية التي لحظها الترتيب الليتورجيّ لأحد حاملات الطيب على مشهد يوسف الذي من الرامة داخلاً على بيلاطس وطالباً منه جسد يسوع. الكلمات التي يستخدمها النصّ لوصف يوسف الرامي«مشير، تقي» (مر ١٥: ٤٣) تدل، في أصلها اليونانيّ، لا على رفعة المستوى الإجتماعيّ لصاحبها فحسب، بل على كونه عضواً في أحد المجالس، ولعلّه المجلس اليهوديّ الأعلى (السنهدرين)، الذي كان يضطلع بإدارة شؤون اليهود الدينية من ضمن السيادة الرومانية في فلسطين. ويُرجَّح أنّ مسارعة يوسف للحصول على جسد يسوع بعد موته مردّها إلى أنّ الناموس كان يدعو إلى دفن المحكومين بالإعدام قبل غروب الشمس (تث ٢١: ٢٢–٢٣)، وأنّ اليوم التالي كان سبتاً يتعذر فيه العمل. بعد حصول يوسف على الجسد الكريم، نقرأ أنّه اشترى كتّاناً، ثم أنزل يسوع عن الصليب ولفّه بالكتّان ووضعه في قبر. لا يوحي هذا المشهد بأنّ مراسم الدفن التي قام بها يوسف، بحسب عادة اليهود، أمر مؤقت. فالراميّ لم يكن يتوقع قيامة السيّد. لذا، هو يتمّم شعائر الدفن على أكمل وجه وكما يليق. ولكنّ الملاحظ، هنا، أنّ دفن يسوع لم يتخلّله مسح بالطيب، كما كان متّبعاً لدى اليهود. ولعلّ السبب المباشر لذلك هو الاستعجال في دفن يسوع قبل غروب الشمس وحلول السبت. وقد كان السيّد أشار، في بيت عنيا قبل أيّام قليلة من صلبه، أنّه، بعد الموت، لن يحظى بالتطييب المتعارف عليه، حتى أنّه اعتبر أنّ المرأة التي أفاضت قارورة الناردين على رأسه (مر ١٤: ٣–٩) إنّما قامت بذلك عوضاً من تطييبه يوم الدفن. فضلاً عن ذلك، يتولى يوسف عمليّة دفن يسوع وحيداً. فتلاميذ يسوع الأقربون تفرّقوا خوفاً لدى صلبه، حتى إنّ أحداً منهم لم يشترك في دفن معلّمهم. أمّا النساء اللواتي رافقن صلب يسوع فلقد رأت إثنتان منهنّ، هما مريم المجدليّة ومريم أمّ يوسي، مكان القبر، وهو عبارة عن فجوة منحوتة في صخرة، من دون الإشتراك بدورهما في عمليّة الدفن

العدد ٢٠٠٩/١٨
الأحد ٣ أيار
أحد حاملات الطيب
ويوسف ونيقوذيموس
تذكار القديسَيْن الشهيدَين
تيموثاوس ومفرة
اللحن الثاني
إنجيل السَحَرْ الرابع

يتكاثرُ في أورشليمَ جداً. وكانَ جمعٌ كثيرٌ مِنَ الكهنةِ يُطيعونَ الإيمان.

الإنجيل

(مرقس ١٥: ٤٣–٤٧؛ ١٦: ١–٨)

في ذلك الزمان جاءَ يوسفُ الذي منَ الرامةِ مشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضاً منتظراً ملكوتَ الله. فاجترأ ودخلَ على بيلاطسَ وطلبَ جسدَ يسوعَ* فاستغربَ بيلاطسُ أنَّه قد ماتَ هكذا سريعاً. واستدعى قائدَ المئةِ وسأله هل لهُ زمانٌ قد مات* ولمَّا عَرف مِنَ القائدِ وَهَبَ الجسدَ ليوسفَ* فاشترى كَتَّاناً وأنزلهُ ولفَّهُ في الكتَّانِ ووضعهُ في قبرٍ كان منحوتاً في صخرةٍ ودحرجَ حجراً على بابِ القبر* وكانت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يوسَّى تنظرانِ أين وُضع* ولمَّا انقضى السبتُ اشترت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ وسالومةُ حَنوطاً ليأتينَ ويدهنَّهُ* وبكّرنَ جداً في أول الأسبوع وأتينَ القبرَ وقد طلعتِ الشمسُ* وكنَّ يقلنَ فيما بينهنَّ من يدحرجُ لنا الحجرَ عن بابِ القبر* فتطلَّعنَ فرأينَ الحجرَ قد دُحرجَ لأنَّهُ كان عظيماً جداً* فلمَّا دخلنَ القبرَ رأينَ شاباً جالساً عن اليمينِ

في ذاتها. يشدّد النص، إلى ذلك، على أنّ يوسف الذي من الرامة هو مَن دحرج حجراً على باب القبر. أهميّة وجود الحجر، الذي يصفه النص في ما بعد على أنّه عظيم جداً (مر ١٦: ٤)، تنبع من أنّه سيتدحرج، صباح يوم القيامة، بتدخّل إلهي، لا بجهد بشريّ.

حادثة الدفن، كما يسردها الإنجيليّ مرقس، هدفها تهيئة القارئ لرواية القبر الفارغ، التي تتركز على الكلام الذي وجّهه إلى النسوة الشاب اللابس حلّة بيضاء. يؤكّد النص، بادئ ذي بدء، أنّ النسوة أتين القبر في أول الأسبوع بعد انقضاء السبت (مر ١٦: ١–٢). ولقد اعتبر التقليد الكنسيّ أنّ هذا اليوم، الأول بعد السبت، أو الأحد، هو اليوم الذي حصلت فيه قيامة السيّد، علماً بأنّه، تحديداً، اليوم الذي اكتشفت النسوة فيه القبر الفارغ وسمعن بشارة الشاب المتسربل ثياباً بيضاء. لذا، درج المسيحيون، منذ البدء، على الاحتفال بقيامة السيد يوم الأحد، حتى إنّنا نجد كتاب الرؤيا يُطلق على هذا اليوم، الذي شهد منذ القدم الاحتفال بالإفخارستيا، اسم «يوم الرب» (رؤ ١: ١٠). مجيء النسوة الثلاث إلى القبر غايته مسح جسد يسوع بالطيب. وهذا يندرج في سياق الرواية المرقسية التي أشارت ضمناً إلى عدم تطييب يسوع يوم دفنه. ما أن تتطارح النسوة في ما بينهنّ مسألة الحجر الموضوع على باب القبر حتى يكتشفن أن الحجر قد دُحرج. لا يذكر النص المرقسيّ أنّ القاعد في القبر ملاك، بل يكتفي بالإشارة إليه بوصفه شاباً لابساً حلّة بيضاء. الثياب البيض دليل على المصدر الإلهيّ للشاب الذي كلّم النسوة. ويذكر اللون الأبيض بحادثة التجلّي التي صارت فيها ثياب يسوع بيضاء «حتى لا يقدرُ قَصَّارٌ على الأرض أن يُبيّضَ مثل ذلك» (مر ٩: ٣). أمّا الإرتعاب، في لغة الكتاب المقدّس، فهو ردّ الفعل «الطبيعي» لدى الإنسان حيال الظهورات الإلهية: «فقلتُ ويلٌ لي إنّي هَلَكْتُ لأنّي إنسانٌ نَجِسُ الشَّفَتينِ وأنا ساكِنٌ بين شعبٍ نَجِسِ الشَّفَتينِ لأنّ عينيَّ قد رأتا الملِكَ ربَّ الجنودِ» (إش ٦: ٥).

العبارة التي يتفوّه بها الشاب ذو الثياب البيض هي قلب رواية القبر الفارغ في إنجيل مرقس: «أنتُنَّ تَطْلُبْنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ، قد قامَ، ليس هو ههنا» (مر ١٦: ٦). الفعل اليونانيّ الذي يُترجَم إلى العربية بلفظ «قام» هو فعل في صيغة المجهول، ويعني حرفيًّا «أُقيم». صيغة المجهول، في اللغة الكتابية، تشير إلى فعل إلهي، وهذا مردّه إلى أنّ اليهود غالباً ما كانوا يتحاشون التكلّم على الله على نحو مباشر. قيامة يسوع من بين الأموات، إذاً، ليست فعلاً سحريًّا قام به مشعوذ، بل هي عمل إلهيّ بامتياز. فبواسطة إقامة يسوع من الموت يُبيّن إله العهد القديم أنّ موت يسوع على الصليب لم يكن موتاً عاديًّا، بل كان موتاً خلاصيًّا. الله كان متضامناً كلّياً مع مسيحه لحظة الصلب والموت، محقّقاً خلاصه لا عبر انتصار عسكريّ على السلطة الرومانيّة، بل في ما ألّم بيسوع من ضعف ومتروكيّة وموت لحظة عُلّق على الخشبة أسوةً بالمجرمين. القيامة، إذاً، كشف لاتّحاد الله اتحاداً كلّياً بمسيحه المصلوب، بحيث يضحي هذا الصلب طاقة حياة، ويضحي المصلوب عنصر الحياة الذي يتعذّر ضبطه في قبر، كما تردّد

لابساً حلَّةً بيضاءَ فانذهلنَ* فقال لهنَّ لا تنذهلنَ. أتطلبنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضعُ الذي وضعوهُ فيهِ* فاذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ ولبطرسَ إنَّهُ يسبقُكم إلى الجليل. هناك ترَونه كما قال لكم* فخرجنَ سريعاً وفررْنَ من القبرِ وقد أخذتهنَّ الرِّعدَةُ والدهَشُ. ولم يقلنَ لأحدٍ شيئاً لأنَّهنَّ كنَّ خائفاتٍ.

تأمل

إنّ نفس المخلص المتألّهة قد انحدرت إلى الجحيم، حتى إنه، كما أشرقت شمس العدل على الذين على الأرض، يغمرُ النور بالمثل المتسكّعين تحت الأرض في الظلمة وظلال الموت. وكما بشّر المخلّص الذين على الأرض بالسلام وبالنجاة للأسرى وبالنظر للعميان، وصار للمؤمنين علَّةَ خلاصٍ أبديّ، ولغير المؤمنين توبيخاً لعصيانهم، كذلك فعل للذين في الجحيم، «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مما في السموات وعلى الأر ض وتح ت الأرض». وبعد أن حلَّ هكذا المعتقلين منذ الدهر، عاد نصوصنا الليتورجيّة.

يطلب الشاب من النسوة أن ينقلن لبطرس وللتلاميذ الآخرين خبر قيامة السيّد مؤكّداً أنّ يسوع سيوافيهم إلى الجليل. القائم من بين الأموات، إذاً، هو إيّاه ذلك المعلّم الهائم على طرقات الجليل الذي كان يشفي المرضى ويطرد الشياطين ويعلّم الناس بأمثال. سمعت النسوة الطلب:«إذهبنَ وقلنَ لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل» لكنهن «خرجن سريعاً وفررن من القبر وقد أخذتهنَّ الرعدة والدهش ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات».

النسوة لم يقلنَ شيئًا لأنهن كنّ خائفات، لكن القبر الفارغ الذي دُحرج عنه الحجر الكبير يشهد على أن المصلوب الذي دُفن فيه قد قام. لمزيد من التشديد على حقيقة القيامة ولكي يدعونا من خلال الرسل والتلاميذ إلى البشارة، أراد كاتب إنجيل مرقس أن لا ينتهي الكلام بصمت النسوة، لذا نراه يكتب عن ظهورات الرب لمريم المجدلية وللتلميذين وهما في الطريق إلى البرية (١٦: ٩–١٣)، ثم للأحد عشر الذين بكّتهم على قلّة إيمانهم «لأنهم لم يُصدِّقوا الذين نظروه قد قام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمعَ واكرزوا بالإنجيل للخليقةِ كلها» (١٦: ١٤–١٥).

قيامة الإنسان

«وقالَ أيُّها الآبُ قد أَتَت الساعَةُ. مَجِّدِ ابنَكَ ليُمجِّدَكَ ابنُكَ أيضاً، إذ أعطَيْتَهُ سُلطاناً على كُلِّ جَسَدٍ ليُعطِيَ حياةً أبديَّةً لِكُلِّ مَنْ أعْطَيْتَهُ» (يو ١٧: ١–٢).

في موت المسيح على الصليب استُعْلِنَ مجد الله وظهر تقويض الموت وإبطاله. قُتل المسيح معلّقاً على خشبة، فاستبان الموت منكسراً إذ «لم يكن مُمكِناً أن يُمسَكَ منه» (أع ٢:٢٤)، فهو الحياةُ الأبديّة، وهو الذي بموته أبطل سلطان الموت. وأمّا نزوله إلى الجحيم، أي إلى عقر دار الموت، فهو خير استعلانٍ للحياة، ولكون السيد قد وطئ الموت بموته.

هذا ما يوضحه مَثَلُ حبّة الحنطة في الإنجيل، التي إن لم تمت لن «تأتي بثمر كثير» (يو١٢: ٢٤). تفتُّح حبّة الحنطة ونموّها تحقق في ثلاثة أيام. وهذا ما عبّر عنه الرسول بولس في قوله: «يُزرَع في فسادٍ ويُقامُ في عَدَمِ فسادٍ، يُزرَعُ في هَوانٍ ويُقامُ في مجدٍ، يُزرَعُ في ضَعْفٍ ويُقامُ في قُوَّةٍ، يُزرَعُ جسماً حَيَوانياً ويُقامُ جسماً روحانيًّا» (١ كور ١٥: ٤٣–٤٤).

كانت قوّة الموت وسلطانه في أنّ الإنسان المائت لا يملك القدرة على الرجوع إلى الحياة. ولكن هذا الواقع تحوّل بالمسيح، وبات الإنسان يحظى بعد الموت بحياة أفضل. بات الموت مجرّد رقاد ونوم. فإن موت المسيح لم يكن مجرّد انتصار على موته وحده بل على كل موت. لذلك نرتّل يوم عيد الفصح: «إننا معيّدون لإبادة الموت ولهدم الجحيم ولبداية عيشة أخرى أبديّة». في قيامة السيّد، كلّ الإنسانيّة، أي الطبيعة البشريّة بجملتها، قامت مع المسيح. ورثنا «عدم الفساد» (١ كور١٥: ٥٠). قمنا ليس بمعنى أنّ الجميع نهضوا من القبر. فالإنسان ما زال يموت، ولكنّ قتام الموت وظلمته، واليأس الكامن فيه قد اضمحل.

بآدم الأول، إمكانيّة الموت الكامنة في الإنسان استبانت وصارت بالعصيان واقعاً. أمّا بآدم

ثانيةً من بين الأموات طارقاً لنا سبيل القيامة...

وبعد قيامة المسيح من بين الأموات، زالت عنه كل الانفعالات. أعني بذلك البلى الذي هو جوعٌ وعطشٌ، نومٌ وتعب، وما شاكل ذلك. وإذا كان قد ذاق طعاماً بعد قيامته، ذلك ليس بموجب حاجة الطبيعة. فإنه لم يكن عرضةً للجوع، بل كان ذلك في سبيل تدبير خلاصنا ليُثبت لنا حقيقة قيامته، ذلك أن الجسد الذي تألّم هو نفسه قد قام، وأنه لم يُهمل جزءاً من أجزاء طبيعته لا جسده ولا نفسه، بل قد حافظ على جسده ونفسه الناطقة والعاقلة، المريدة والفاعلة. وقد جلس – على هذه الصورة – عن يمين الآب، وهو يريد خلاصنا بإرادته الإلهيّة – البشريّة، ويعمل، من جهة، بفعله الإلهي على العناية بالجميع وحفظهم وسياستهم، ويعمل، من جهة أخرى، بفعله البشري على ذكر جميع العائشين على أرضه، ناظراً وعارفاً أنّ الخليقة العقليّة كلها تسجد له.

القديس يوحنا الدمشقي

الجديد، فإنّ النقاوة والطاعة قد آلتا بالإنسان إلى تخطي الموت إلى إمكانيّة الحياة والخلود. «لأنّه كما في آدمَ يموتُ الجميعُ هكذا في المسيح سيُحيا الجميعُ» (١ كور ١٥: ٢٢).

في موت المسيح، لم يرَ جسدُه الكلّي النقاوة فساداً. كان حرًّا من هذا الفساد الذي اكتنف الطبيعة البشرّية بالخطيئة والسقوط. وهذا كان شفاءً وتجديداً للطبيعة البشريّة. ولهذا فإنّ الجميع سيقومون ويتحوّلون إلى ملء الطبيعة. القيامة إعادة خلق لكلّ الجنس البشري. هي «خليقة جديدة»، إعلان جديد للمحبة الإلهيّة ولقوّة الله. هي ذروة فعل الخلق الإلهي.

ولكنّ آباء الكنيسة يميّزون ما بين قيامة الطبيعة البشريّة وقيامة المشيئة البشريّة. الطبيعة الإنسانيّة تُشفى بنوعٍ من الغصبِ، أي بقوّة الله العزيزة ونعمته الكليّة القدرة والتي لا تُغلب. وهذه الاستعادة تتحقق بالكامل وتُستعلن يوم القيامة العامّة، قيامة الجميع، الأشرار والصالحين معاً. ولا يمكن لأيّ إنسانٍ أن يقصي ذاته عن قوّة القيامة هذه، التي لا تُغلب. الكلّ دون استثناء سوف يقومون.

بيد أنّ مشيئة الإنسان لا تُشفى بالطريقة ذاتها. فإنّ كلّ معنى لشفاء المشيئة البشريّة كامنٌ في اهتداء الإنسان الحرّ. ينبغي لإرادة الإنسان أن تتّجه إلى الله. لا بدّ من استجابة حرّة تلقائيّة نابعة من الحبّ والعبادة. لا تشفى مشيئة الإنسان سوى بالحريّة، سوى في «سرّ الحريّة». فقط بالإستجابة التلقائيّة والجهد الحرّ يدخل الإنسان إلى هذه الحياة الجديدة الأبديّة التي أُعلنت بالمسيح يسوع. وهذا التمييز يؤكّد عليه القديس نيقولاوس كاباسيلاس في مؤلّفه عن «الحياة بالمسيح». فالقيامة استعادة للطبيعة، وهذا الأمر يمنحه الله مجاناً. ولكنّ ملكوت السموات، ومعاينة الله، والاتحاد بالمسيح تستلزم رغبة الإنسان وشوقه، وهي بالتالي متوفّرة حصريًّا لمن تاقوا إليها، وأحبّوها ورغبوا بها. فالقيامة عطيّة للكلّ، وأمّا الغبطة والقداسة فلا ينالهما إلاّ البعض.

طريق الحياة هي أيضاً طريق التضحية، بذل الذات، والزهد بالنفس. على كلّ واحد أن يرتبط شخصيًّا بالمسيح الفادي، عبر اعتراف الإيمان والتوبة. على كلّ واحدٍ أن ينكر ذاته، أن «يُهلك نفسه» لأجلِ المسيح، أن يحمل صليبه ويتبعه. ومَن لا يموت مع المسيح لا يمكنه أن يحيا معه. «إن لم نقبل بمحض خيارنا أن نموت لآلامه، فحياته ليست فينا» يقول القديس إغناطيوس الانطاكي.

فالجهاد المسيحي هو اتباع المسيح، اتباع طريق آلامه وصليبه، حتى الموت. ولكن، قبل كل شيء، هو عيش المحبّة الحقيقيّة. «بهذا قد عَرَفْنا المحبَّةَ أنَّ ذاك وَضَعَ نفسَهُ لأجلِنا، فنحنُ ينبغي لنا أن نَضَعَ نُفوسَنا لأجلِ الإخوةِ... في هذا هي المحبَّةُ ليس أنَّنا نحن أحبَبْنا اللهَ بل أنَّهُ هو أحبَّنا وأرسَلَ ابنَهُ كفَّارةً لخطايانا» (١ يو ٣: ١٦، ٤: ١٠).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb